نظرة تاريخية عن حجاب ونقاب المرأة

النقـاب

النقاب في التاريخ[1] :

النقاب عادة قديمة جداً تعود إلى ما قبل ظهور الديانات كلها، اليهودية والمسيحية والإسلام، وكان هذا النقاب منتشرًا في العالم كله شرقه وغربه، فقد عرفه الآشوريون والآراميون والبابليون والفرس والتركمان، كما عرفه الإغريق والرومان.

ولم يكن الدافع إلى النقاب في تلك العصور دينيا ، بل كان الهدف الرئيسي منه إما الوقاية من الظروف المناخية مثل لفح الشمس أو رمال الصحراء ، وإما للتخفى عن أعين الناس ، لذلك لم يكن النقاب قاصرًا على النساء بل الرجال أيضا ، كما كان من أهم دوافعه في تلك العصور التى سادت فيها الخرافات والخوف من العين والحسد ، بل وتذكر كتب التاريخ أن النقاب كان شائعا بين البغايا لإخفاء وجوههن في الطريق ، وفي لقاء العشاق ، وفي ذلك يقول الشاعر الجاهلي الحارث بن كعب : " ولا طرحت عندي .. بغى قناعها " .

وروى البخاري عن رسول الله ﷺ :

" غفر لامرأة مومس مرت بكلب على رأس ركن يلهث قد كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك " .

وقد ورد ذكر النقاب في كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد ، ولكن ذكره قد جاء كإشارة إلى حقيقة واقعة في حياة الناس ولم يرد كأمر في الدين بارتدائه.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في الإصحاح **الثامن والثلاثين** من سفر التكوين أن تامار " مضت وقعدت في بيت أبيها ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت ".

وفي الأصحاح **الرابع والعشرين** من سفر التكوين عن " رفقه " أنها (عندما رأت إسحق أخذت البرقع وتغطت ".

---

(1) بتصرف من كتاب النقاب د. أحمد شوقي الفنجري من ص 25 إلى ص 31 .

وعندما جاء الإسلام كان النقاب معروفا في جزيرة العرب ، ولكن الإسلام لم يأمر به، ولم يجعله فرضا تأثم من تتركه ، وترك للمرأة الاختيار بين استعماله أو تركه ، ويدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم [1] :

" استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه، ويستكثرنه ، عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر ، قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ فدخل والرسول ﷺ يضحك .

فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : "عجبت من هؤلاء اللاتي عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب " فقال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن ، ثم قال عمر : أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم أنت أغلظ وأفظ " .

فهذه الواقعة تدل على أن النقاب كان معروفا لدى نساء العرب ، قبل الإسلام ولكن الإسلام لم يفرضه، وأن نساء المسلمين لم يكن يغطين وجوههن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مجلسة ،وبحضور الصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وفي حضور دروس الدين ، بل كن يجالسنه ويتحدثن إليه وهن سافرات.

وظل الحال كذلك في العصر الأموى ثم العصر العباسي .

وفي صدر الإسلام شاركت المرأة المسلمة في الحرب كمقاتلة بالسيف والرمح، وكممرضة تسعف الجرحى ، وتخدم الجند ، وتسقي العطشان بل كانت تشارك بالرأي في الشئون العسكرية وهي كاشفة وجهها .

وفي السلم شاركت المرأة في كل شئون الحياة ، في التجارة وفي الطب والعمل والرزق، وكانت منهن الخطيبات المفوهات البليغات في ميادين السياسة والأدب وما كان ذلك كله يتم مع غطاء الوجه .

---

[1] رواه مسلم والبخاري في باب فضل عمر البخاري ج8 ص 45 .

ولم يظهر النقاب في العالم الإسلامي إلا مع بداية انهيار الدولة الإسلامية عندما ضعف الحكم العباسي ، وابتدأ عصر المماليك ، فقد بدأ الخلفاء العباسيون يستبعدون العنصر العربي من حولهم، واشتروا المماليك لحراستهم وقيادة جيوشهم ، واشتد نفوذ هؤلاء المماليك ، حتى كانوا يعيثون فسادا في العواصم الإسلامية ، والمدن الآمنة ، فإذا شاهدوا امرأة جميلة في الطريق خطفوها واعتدوا عليها، فلزمت النساء بيوتهن، ومن كانت تضطر إلى الخروج كانت تلبس اليشمك أو البرقع وهي مسميات تركية دخيلة.

وهكذا توارث الناس هذه العادة جيلا بعد جيل.

مما سبق يتضح أن النظم الاجتماعية في مختلف حضارات العالم القديمة كالآشوريين والآراميون والبابليون والفرس وفي الهند والصين والإغريق، كانت تعطي دورًا أدنى للمرأة وحرمتها من كثير من الحقوق التى كانت تمنحها للرجل، وأنها فرضت الحجاب عليها أحيانا وقصر دورها على البيت ، كان موجودًا قبل الإسلام ، وأن الإسلام هو الذى أعاد للمرأة كثيرًا من حقوقها ، ووضع من القواعد والأحكام ما يحقق التوازن في التعامل مع المرأة ، لتكون عضوًا نافعا في المجتمع تشارك فيه بايجابية، مع المحافظة على طبيعتها كأنثى وامرأة ، ولا يتعارض مع دورها المهم في المجتمع بصفة عامة، وأسرتها بصفة خاصة ، فكانت المرأة تشارك في كافة مجالات الحياة في السلم والحرب ، وتحضر مجالس الرسول ﷺ، وهي كاشفة وجهها، ولم يأمرها الرسول ﷺ بغطاء وجهها ، ولم يزجر إمرأة لكشفها وجهها، باعتباره أنه ليس من العورة للمرأة ، وكتب السيرة النبوية غنية بالروايات التى تؤكد ذلك، حتى بعد نزول آيات الحجاب وسنشير إليها بإذن الله فيما بعد .